

"بناء مركب أممي اقليمي مغاربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط"
أحلام علوان و عتيقة كواشي

بناء مركب أممي اقليمي مغاربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط

Building a Maghreb regional security complex in light of internal conflicts and external challenges and its implications for the security of the Mediterranean



أحلام علوان

جامعة باتنة 1، الجزائر، ahlam-mahdi18@hotmail.com

مخبر الأمن في منطقة المتوسط –شكالية وحدة وتعدد المضامين

عتيقة كواشي

جامعة باتنة 1، الجزائر، atika.kouachi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/07/04 تاريخ القبول: 2020/11/13 تاريخ النشر: 2021/01/01

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى إبراز أثر الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية في المنطقة المغاربية على بناء مركب أممي اقليمي مغاربي وانعكاساته على أمن المتوسط، عبر التركيز على أهمية هذه المنطقة في السياسة الدولية، خاصة في ظل التهديدات الأمنية والأزمات المتنوعة التي تشهدها المنطقة منذ نهاية الحرب الباردة، وتحدد الدراسة أهم الأسباب المعيقة للتكامل في منطقة المغرب العربي والتي تتنوع بين أسباب داخلية وخارجية وانعكاساتها على بناء مركب أممي اقليمي مغاربي.

الكلمات المفتاحية: مركب الامن الاقليمي، المنطقة المغاربية، أمن المتوسط.

Abstract:

The aim of this article is to highlight the impact of internal conflicts and external challenges in the Maghreb on the construction of a Maghreb regional security complex and its implications for the security of the Mediterranean by focusing on the importance of this region in international politics, especially in light of security threats and various crises occurring in the region since the end of the Cold War. The study is the most important reason for the integration of the Maghreb region, which varies between internal and external reasons and its implications for building a Maghreb regional security complex .

Keywords: regional security complex, Maghreb Region, Mediterranean Security.

* المؤلف المرسل: أحلام علوان، ahlam-mahdi18@hotmail.com

مقدمة:

تعتبر نهاية الحرب الباردة منعرجا حاسما في تاريخ العلاقات الدولية بصفة عامة والعلاقات المغاربية على وجه الخصوص، إذ ألقت الأوضاع الجديدة التي رسمتها نهاية هذه الحرب بضلالها على منطقة المغرب العربي، وتحمل هذه الأخيرة أهمية بالغة في الساحة الدولية منذ القدم لاعتبارات جيواستراتيجية بالأساس.

ويعتبر موضوع التكامل في المغرب العربي أحد أهم المواضيع المطروحة للنقاش خاصة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة أين اتجه العالم إلى تعميق التكامل و بروز العديد من النماذج التكاملية الناجحة، ليبقى فشل التكامل في المغرب العربي محل جدل خاصة لانتمائه لمنطقة محورية في السياسة الدولية، فالحديث عن بناء أمن المتوسط لا يكون إلا من خلال أمن الدول الواقعة على ضفافه خاصة في ظل تنامي التهديدات الأمنية وتصاعد وتيرة العولمة والاعتماد المتبادل وعجز الدول منفردة عن درأ الأخطار .

أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة في محاولة فهم أثر الديناميكيات اللاتكاملية في المغرب العربي على بناء مركب أممي إقليمي مغاربي، إذ يعتبر أمن منطقة المغرب العربي مهما بالنسبة لأمن المتوسط ككل. حيث أصبح هذا الموضوع محل اهتمام الباحثين في حقل الدراسات الأمنية والتكاملية على حد سواء، فقد أصبحت حالة اللاتكامل في المغرب العربي تشكل تحديا جوهريا لفكرة بناء أمن مغاربي خاصة في ظل توجه جل المناطق في العالم إلى التكامل وزيادة حدة وتيرة الاعتماد المتبادل بين الأقاليم بدل الدول.

اشكالية الدراسة

وعليه فإن هذه الدراسة تسعى إلى فحص إشكالية مفادها: ما مدى تأثير التحديات الداخلية والخارجية في منطقة المغرب العربي على بناء مركب أممي إقليمي مغاربي؟ وماهي انعكاساته على أمن المتوسط؟

الاسئلة الفرعية: تندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية نوجزها فيما يلي:

- 1- ما مفهوم مركب الأمن الإقليمي؟
- 2- فيما تتمثل أهم العوامل المعيقة للتكامل في منطقة المغرب العربي؟
- 3- ما أثر اللاتكامل المغاربي على أمن المنطقة المغاربية؟
- 4- ماهي انعكاسات اللاتكامل المغاربي على أمن المتوسط؟

فرضية الدراسة: للإجابة عن الاشكالية تهتم الدراسة بطرح الافتراض التالي: إذا كان مركب الأمن الإقليمي المغاربي يعاني من تهديدات أمنية فإن القضاء على هذه التهديدات مرتبط بتحقيق التكامل في المنطقة المغاربية مما ينعكس ايجابا على أمن المتوسط.

مناهج الدراسة: ولدراسة الموضوع دراسة أكاديمية تعتمد الدراسة على المناهج التالية:

- المنهج المقارن: وهو يقوم على دراسة ظواهر متشابهة في مناطق مختلفة، إذ تم الاعتماد عليه في هذه الدراسة من خلال المقارنة العمودية بين دول المنطقة المغاربية بشأن دورها في بناء مركب أمني إقليمي مغاربي.
- المنهج التاريخي: تم الاعتماد على هذا المنهج الذي يستخدم للحصول على أنواع المعرفة من خلال الرجوع إلى الماضي في محاولة فهم العلاقات المغاربية- المغاربية التي تنعكس على مشروع بناء مركب أمن إقليمي مغاربي.
- مقارنة مركب الأمن الإقليمي: إذ تساعد هذه المقارنة التي جاء بها "باري بوزان" على تفسير العلاقة الموجودة بين دول المنطقة المغاربية خاصة في جانبها الأمني.

هيكل الدراسة: لدراسة الموضوع ومعالجة الإشكالية المطروحة ولتغطية الفرضية تم تقسيم البحث إلى خمسة محاور أساسية:

- 1- مركب الأمن الإقليمي: دراسة في المفهوم.
- 2- جيوبوليتيكا منطقة المغرب العربي.
- 3- العوامل المعيقة للتكامل في منطقة المغرب العربي.
- 4- أثر اللاتكامل المغاربي على أمن المنطقة المغاربية: هل يمكن الحديث عن مركب أمني إقليمي مغاربي.
- 5- انعكاسات اللاتكامل المغاربي على أمن المتوسط.

1. مركب الأمن الإقليمي: دراسة في المفهوم.

ارتبط مفهوم الأمن إلى غاية نهاية الحرب الباردة بمضامين دقيقة لعل من أبرزها ربط الأمن في الأساس بالقوة العسكرية للدولة (زياني، ص.287)، ويعتبر تعريف "باري بوزان" (Barry buzen) للأمن من أهم وأحدث التعريفات باعتباره أحد أبرز المتخصصين في الدراسات الأمنية، إذ يعرف الأمن على أنه العمل على التحرر من التهديد، وفي سياق النظام الدولي فهو قدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على كيانها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعتبرها معادية (بن عنتر 2005، ص.56). وقد ساهمت نهاية الحرب الباردة في تعدد مضامين الأمن ومستوياته نتيجة لبروز تهديدات وقضايا أمنية جديدة، حيث أصبح المستوى الإقليمي من أهم المستويات التي يركز عليها الباحثين والأكاديميين في حقل الدراسات الأمنية عند تحليلهم للواقع الدولي.

أصبح موضوع الأمن الإقليمي يحتل أهمية بالغة لدى الباحثين في حقل الدراسات الأمنية خاصة مع نهاية الحرب الباردة كنتيجة حتمية لزيادة حدة الاعتماد المتبادل بين دول الأقاليم، فقد حتمت الأوضاع الدولية الجديدة المتأثرة بالعولمة على الدول اللجوء للتكتلات الإقليمية كأسلوب جديدة لضمان أمنها الداخلي والخارجي خاصة في ظل زيادة حدة التهديدات الأمنية والتي أصبحت عابرة للقوميات.

يعرف البعض الأمن الإقليمي على أنه اتخاذ خطوات متدرجة تهدف إلى تنسيق السياسات الدفاعية بين أكثر من طرف وصولاً إلى تبني سياسة دفاعية موحدة تقوم على تقدير موحد لمصادر التهديد وسبل مواجهتها

"بناء مركب أممي إقليمي مغربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط"
أحلام علوان و عتيقة كواشي

(الحربي 2008، ص. 19). وعليه فالأمن الإقليمي يعنى بحماية أمن مجموعة من الدول تشترك في تهديدات خارجية محددة.

فالأمن الإقليمي في أبسط معانيه هو ما تعلق بأمن مجموعة من الدول المرتبطة بعضها ببعض، والذي يتعدى تحقيق أمن أي عضو فيه خارج إطار النظام الإقليمي (الحربي 2008، ص. 20). وقد عبر "بوزان" عن ذلك بمركب الأمن الإقليمي (Regional Security Complex) الذي عرفه بأنه "تحقيق مستوى من الارتباط الأمني بين دول منطقة ما بحيث يصبح أمن كل دولة غير قابل للانفصال عن أمن بقية الدول الداخلة في الإقليم" (Buzan, Barry and Waever, 2003, p. 22). وقد أعاد "بوزان" تعريفه لمركب الأمن الإقليمي لإلغاء مركزية الدولة حيث عبر عن ذلك بقوله "مجموعة وحدات تتشابه فيها عمليات الأمن والأمن أو كلاهما بصفة تصبح فيها مشاكل الأمن من المستحيل أو من غير المعقول أن تحل أو تحلل بمعزل عن بعضها البعض" (Buzan, Barry and Waever, 2003, p.23). إذ يعتقد "بوزان" أن تحقيق التعاون الأمني لم يعد مرتبط بالوحدات السياسية فقط (الدول) بل أصبح مسؤولية الأقاليم التي أصبحت سمة جديدة للتعاون في عصر العولمة.

ويعتبر بوزان أن مفهوم المركب الأمني الإقليمي يمنح أداة جيدة لتصور الأمن الإقليمي في إطار العلاقات الدولية المعاصرة (زاوي، 2014، ص.2)، فالإقليمية تتأسس على فكرة إقامة تنسيق بين عدة دول بقصد ضمانه مصالحها المشتركة، واستثمار مزايا المنطقة السياسية (زاوي، 2014، ص.4).

يساهم مركب الأمن الإقليمي في القضاء على فكرة نشوء معضلة أمنية بين دول الإقليم والتي عادة ما تنشأ بسبب مسألة السيادة، حيث يؤدي خلق مركب أممي إقليمي إلى رسم سيادة مشتركة بدلا من التنازل عنها (Kelly, 2007). بالإضافة إلى ذلك يعتبر القرب الجغرافي مركزي لنجاح التنسيق الأمني الذي يكون أكثر نجاحا في الأقاليم والتي يصطلح عليها بالمركبات الأمنية (Kahrs, 2004). لكن يرى البعض أن القرب الجغرافي لوحده لا يكفي بل لا بد من وجود عناصر التماثل بين الدول التي تدخل في نطاق إقليم ما من النواحي الثقافية والاجتماعية، بالإضافة إلى وجود تفاعلات اقتصادية وسياسية بين هذه الدول (زاوي، 2014، ص.5).

قد يحتوي مركب الأمن الإقليمي على مجموعة من المركبات الأمنية الفرعية "Subcomplexes" التي تؤثر وتتأثر بالمركب الأمني الإقليمي العام، حيث يصبح التعاون أكثر سلاسة بين الأقاليم خاصة المتجاورة والتي تتحكم فيها مجموعة من المعايير المحددة مسبقا خاصة في المجال الأمني.

بالإضافة إلى ذلك يساهم مركب الأمن الإقليمي في جعل الدول أكثر قدرة على التعامل مع التهديدات الخارجية وإيجاد حلول لمشكلة انعدام الثقة بين الأعضاء (Gheciu, 2007; p.172). بمعنى آخر يساهم بناء مركب الأمن الإقليمي في القضاء على الاختلافات البينية التي قد تنشأ بين دول الإقليم وتحديد التهديدات التي تهدده.

2. جيوبوليتيكا منطقة المغرب العربي.

تمثل منطقة المغرب العربي تاريخيا وجغرافيا جزءا أساسيا من منطقة المتوسط، إذ تقع ضمن الجزء الجنوبي من حوض المتوسط، وهو الأمر الذي يجعلها فاعلا محوريا في العلاقات بين شمال وجنوب

"بناء مركب أممي اقليمي مغاربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط"
أحلام علوان و عتيقة كواشي

المتوسط (messaoudi, 1994,p.62-63). ويطلق على هذه المنطقة أيضا تسمية شمال إفريقيا لاحتلالها الجزء الشمالي للقارة الإفريقية، كما تعتبر المنطقة رابط بين المتوسط والأطلسي والساحل الإفريقي.

تشكل كل من الجزائر، المملكة المغربية، تونس، ليبيا وموريتانيا بالإضافة إلى الصحراء الغربية الاطار الجغرافي للمنطقة المغاربية. ويحتل المغرب العربي أهمية بالغة ضمن السياسة الدولية لاحتلاله موقع جيواستراتيجي مهم، مما جعله محل أطماع للدول الكبرى منذ القدم وهو ما تجسد على أرض الواقع في جملة الحملات العسكرية التي تعرضت إليها المنطقة. بالإضافة إلى الأهمية الجغرافية تحتل منطقة المغرب العربي أهمية اقتصادية إذ يحتوي على تنوع في الثروات الطبيعية وأهمها البترول والغاز بالإضافة إلى الذهب والفوسفات والموارد المائية.

إنّ الجغرافيا تضع المنطقة في قلب التوازنات الدولية المقبلة، من حيث كونها تمثل امتدادا حيويا للمجال الأوروبي، وبوابة رئيسية للشرق الأوسط (حمشي، 2014، ص.25). وتتميز هذه المنطقة بالتنوع المناخي الذي يجمع بين البيئة المناخية المتوسطية والصحراوية (التوترات الكامنة: واقع التوازن العسكري في المنطقة المغاربية، 2015)، إضافة إلى ذلك يتميز المغرب العربي بقوة بشرية هائلة إذ يعتبر سكان المنطقة في أغلبهم شباب تقل أعمارهم عن خمس وعشرون عاما (Maghur, 2011,p.31).

خارطة تبين الموقع الجغرافي لدول المغرب العربي نقلا عن: <https://bit.ly/2w2PIJG>



بالإضافة إلى ذلك يعتبر المغرب العربي كتلة متجانسة من الناحية الهوياتية والدينية، إذ يعتبر سكان المغرب العربي في مجملهم أمازيغ متأثرين بالحضارة العربية التي جاء بها المسلمون من شبه الجزيرة العربية في فترة الفتوحات الإسلامية، ويدين الغالبية العظمى من شعوب المغرب العربي بالدين الإسلامي مع وجود أقليات من ديانات أخرى كالمسيحية واليهودية.

رغم الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية والمقومات البشرية والطبيعية التي تتمتع بها منطقة المغرب العربي إلا أنها تعد من أكثر المناطق توترا وتخلفا، وذلك راجع لمجموعة من الأسباب التي لم تنعكس بالسلب على دول المنطقة منفردة بل أثرت على التكامل المغاربي وعلاقته بالجوار.

إن توفر الموارد الطبيعية لوحده لا يكفي للسير نحو الامام إن أساءت الدولة الاستثمار في الموارد البشرية، ونفس الأمر ينطبق على المنطقة المغاربية فرغم الثروات التي تزخر بها المنطقة المغاربية إلا أن سوء

"بناء مركب أممي اقليمي مغاربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط"
أحلام علوان و عتيقة كواشي

التسيير وغياب الوحدة بين دول المنطقة بالإضافة إلى التدخلات الخارجية حال دون استغلال الموارد التي تتوفر عليها المنطقة لخدمة الصالح العام الذي يعود بالفائدة لكل سكان المنطقة.

3. العوامل المعيقة للتكامل في منطقة المغرب العربي.

يشهد العالم منذ نهاية الحرب الباردة العديد من التكتلات الاقتصادية، ويعتبر النموذج الأوروبي 1993 خير مثال على ذلك (messaoudi, 1994, p.59). لكن رغم اتجاه العالم نحو التكتلات الإقليمية والتي أخذت أبعادا مختلف صنعت منطقة المغرب العربي الاستثناء إذ تعتبر المنطقة الوحيدة التي تعد إقليم دون إقليمية، فرغم الأهمية البالغة التي يحتلها من الناحية الجيوستراتيجية والاقتصادية واحتواءه على مقومات التكامل إلا أن الديناميكيات اللاتكاملية سيطرت على المشهد، فقد ساهمت العديد من العوامل في إعاقته نجاح العملية التكاملية في المغرب العربي ويمكن تقسيمها إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية.

• **العوامل الداخلية المعيقة للتكامل في المغرب العربي:** تساهم جملة من العوامل المتعلقة بالبنية الداخلية لدول المغرب العربي في إعاقته العملية التكاملية في المنطقة، إذ يجادل الكثير من الباحثين أن الصراعات الداخلية بين دول الإقليم المغاربي بالإضافة إلى التركيبة المؤسسية للأظمة المغاربية تساهم بشكل فعال في إعاقته التكامل. حيث تعتبر أنظمة دول المغرب العربي ذات الطبيعة الدكتاتورية أكبر معيق للعملية التكاملية. ويمكن اجمال الديناميكيات الداخلية المعيقة للتكامل المغاربي في النقاط التالية:

➤ **غياب الديمقراطية:** فالديمقراطية أصبحت تحتل القيمة الأولى في سلم المعايير السياسية، كما أضحت مطلبا من بين المطالب الاجتماعية الأولى، بل من الضرورات والاحتياجات الأولى التي أصبح المواطن المغاربي في حاجة ماسة إليها (<https://bit.ly/3bB2b6d>). حيث يعتبر غياب الديمقراطية التشاركية من أهم معيقات التكامل المغاربي، فإذا كان التكامل مطلبا شعبيا تجسده القوى السياسية على أرض الواقع فإن تعزيز مبادئ ومعايير الديمقراطية تعد ضرورة لتحقيق تطلعات الشعوب. وتصنف دول المغرب العربي في مجملها من حيث أنظمتها السياسية على أنها دول مستبدة، مما يجعل تحقيق فكرة التكامل في المنطقة حلما بعيد المنال.

➤ **غياب الوعي السياسي لدى شعوب المنطقة المغاربية:** حيث يساهم غياب الديمقراطية في غياب الوعي السياسي لدى شعوب المنطقة المغاربية.

➤ **ضعف الأداء الاقتصادي لدول المنطقة:** يعتبر العامل الاقتصادي أهم عامل قد يعزز/ يعيق العملية التكاملية إذ يؤثر هذا العامل بالإيجاب إذا ما تم استغلال التنوع في الثروات الموجودة في المنطقة الطبيعية منها وكذا العامل البشري الذي تزخر به المنطقة في بناء اقتصاد مغاربي موحد. لكن غياب التنسيق في الجوانب الاقتصادية وإقحام المستوى الأمني في محاولات التكامل أدى إلى بقاء الاقتصاديات هشة. إن الانطلاق من الفكرة التي مفادها أن التعاون أحسن وسيلة لحل المشاكل الاقتصادية الملموسة على المدى القصير وليس كهدف سياسي نهائي (messaoudi, 1994, p.p. 68-69)، يعد أهم ركيزة يمكن أن تعتمد عليها الدول المغاربية مجتمعة للنهوض بقدراتها الاقتصادية والأمنية على حد سواء، إذ يعتبر إقحام أصحاب المصالح الاقتصادية معزز لمزيد من التكامل.

فقد أثبتت الواقع أن جل التجارب التكاملية الناجحة كانت ذات بداية اقتصادية كالنموذج الأوروبي الذي تجاوز الصراعات السياسية وأقم أصحاب المصالح ليصل إلى مستويات عالية من التكامل.

"بناء مركب أممي اقليمي مغاربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط"
أحلام علوان و عتيقة كواشي

وقد ساهم العامل التاريخي في زيادة حدة التخلف الاقتصادي في المنطقة المغاربية، حيث ورثت دول المنطقة اقتصاديات هشّة مما جعلها تبحث عن نماذج جاهزة للتنمية من أجل النهوض باقتصاداتها، فكان للحرب الباردة الأثر الأكبر في توسيع الهوة بين اقتصاديات دول المغرب العربي، إذ أدى الانقسام الذي عرفه النظام الدولي بين الشرق والغرب إلى انقسام دول المغرب العربي بين الكتلتين مما زاد من حدة الاختلافات السياسية والاقتصادية.

➤ **الصراعات البيئية:** تعتبر المنطقة المغاربية من أكثر المناطق توترا نتيجة لوجود العديد من النزاعات البيئية بالإضافة إلى التهديدات اللاتماثلية التي تعرفها المنطقة، وتعد مشكلة الحدود من أكثر الأسباب المثيرة للنزاعات في المنطقة، فعلى الرغم من الخطاب الذي كان سائدا إبان فترة الاستعمار والذي أكد على الوحدة المغاربية والهوية المشتركة لشعوب المنطقة، إلا أن التقسيمات التي أجراها المستعمر في المنطقة جعلها تدخل في جملة من النزاعات الحدودية في السنوات الأولى لاستقلالها كالنزاع الجزائري-المغربي 1963، ولا تزال المنطقة تعرف صراعات بيئية بسبب الحدود والتي تعد سببا محوريا في اعاقا التكامل المغاربي.

➤ **النزاع الصحراوي المغربي:** يعتقد أن الصراع الصحراوي هو التحدي الأهم الذي يواجه اتحاد المغرب العربي (Maghur, 2011, p.45)، إذ ساهم تعدد الأطراف الفاعلة في النزاع منذ نشوئه في زيادة حدة التوترات في المنطقة. فالصراع الصحراوي المغربي لا يعد ثنائيا فقط بل تدخلت فيه العديد من القوى الفاعلة الاقليمية والدولية. وقد ساهم هذا الصراع في زيادة حدة التوتر بين دول المنطقة بصفة عامة وخاصة القطبين الأساسين وهما المملكة المغربية التي تعد طرفا مباشرا في النزاع، والجزائر التي تدافع انطلاقا من مبادئها الثورية على حق الشعوب في تقرير المصير وهو الحق الذي تكفله المنظمات الأممية.

➤ **اختلاف الأنظمة السياسية:** على الرغم من أن التكامل يمكن أن يقدم العديد من المزايا، إلا أن الاختلافات بين الدول تعد من الأسباب الرئيسية التي تحظر التكامل (Maghur, 2011, p.37). فالمنطقة المغاربية تعرف العديد من نماذج الحكم بين جمهورية وملكية مما أثر سلبا على العملية التكاملية في المنطقة.

➤ **انتشار الفساد:** يعتبر الفساد ظاهرة سلبية تمس مختلف القطاعات داخل الدولة، حيث يعتبر انتشار الفساد السبب الأساس في ترد الأوضاع السياسية والاجتماعية، مما يجعل اهتمام دوائر صنع القرار في هذه الدول منصب حول معالجة هذه المسألة بدل الاهتمام بقضايا التكامل والتعاون الاقليمي.

➤ **التوترات الداخلية:** شهدت المنطقة المغاربية منذ أواخر عام 2010 موجة من حراك الشعبي نتيجة للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حيث كانت البداية مع الثورة التونسية التي أطاحت بنظام زين العابدين بن علي، مرورا بالحالة الليبية والاحتجاجات الأخيرة بالمملكة المغربية والتوترات السياسية التي تعرفها الجزائر، إذ ساهمت هذه التوترات في انصباب الاهتمام بترتيب الأوضاع الداخلية مما أثر سلبا على المسار التكامل في المنطقة.

● **العوامل الخارجية المعيقة للتكامل في المغرب العربي:** يلعب العامل الخارجي دورا مزدوجا في العملية التكاملية داخل المغرب العربي، إذ يعتبر العامل الاقتصادي الخارجي محفز للعملية التكاملية باعتباره أهم محرك للتكتلات الناجحة في العالم، بينما تلعب المصالح الاستراتيجية للقوى الكبرى في المنطقة دورا معيقا للعملية التكاملية.

إن الحديث عن العوامل الخارجية المؤثرة في عملية التكامل المغاربي تستدعي التركيز على فاعلين أساسيين هما الاتحاد الأوروبي كشريك أممي واقتصادي لدول المغرب العربي في المنطقة المتوسطة، بالإضافة إلى دور الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر فاعل استراتيجي في المتوسط لخدمة مصالحها في المنطقة.

فسياسات القوى الدولية تجاه المنطقة المغاربية قائمة على التحكم في العلاقات المغربية الجزائرية أساسا، سواء أثناء الحرب الباردة أو بعدها، إذ ترى القوى الأجنبية في المنطقة خزاناً نفطياً (الجزائر- ليبيا) وموقعا استراتيجيا (المغرب)، فضلا عن كونها سوقا للسلاح بامتياز (<https://bit.ly/2wF2Sgj>).

✓ **التكامل المغاربي من منظور الاتحاد الأوروبي:** أصبح المتوسط منطقة محاطة بالآزمات والانتقال الثوري متأثرا بما يحدث في الشرق الأوسط والمغرب العربي (صبحي، 2015)، وقد أدت الأوضاع الجديدة بالدول الأوروبية إلى إعادة ترتيب أولوياتها لضمان أمن المتوسط وبالتالي أمنها. فانتشار الارهاب والجريمة المنظمة إضافة إلى المشاكل التي تطرحها الثورات العربية من مشكلة اللاجئين والهجرة غير الشرعية يساهم بشكل فعال في تحديد أولويات أوروبا المتوسطية.

إن تأسيس الدول الأوروبية، المطلة على الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، لقوة تدخل سريعة حماية لمصالحها الاستراتيجية في بلدان المغرب العربي كان يحمل أبعاد متعددة، فمن مصلحة الدول الأوروبية - خاصة المطلة على البحر المتوسط- أن يعم الاستقرار في الضفة الجنوبية باعتبارها ستكون المستفيد الأكبر من الاستقرار في المنطقة.

لقد كان اهتمام أوروبا بالضفة الشمالية والمغرب العربي على وجه خاص يحمل أبعاد متعددة يتم ترتيبها من قبل الدوائر الأوروبية حسب الظروف الدولية، ففي الوقت الذي يكون المناخ مستقر نسبيا يكون الجانب الاقتصادي المهيمن على العلاقات المغربية الأوروبية لكن بمجرد نشوب توترات تتغير الاستراتيجية الأمريكية بجعل الملف الأمني على سلم أولوياتها.

✓ **المصالح الأمريكية في المغرب العربي:** تعد الولايات المتحدة فاعلاً اقتصادياً ودبلوماسياً وأمنياً في منطقة البحر المتوسط، كواحدة من أكثر المناطق استدامة للتدخل الأمريكي لأكثر من قرنين ماضيين (صبحي، 2015)، ويحتم الاهتمام الأمريكي بالمنطقة المتوسطية اهتماما مماثلاً بالمنطقة المغربية كنتيجة حتمية للارتباط الجيو استراتيجي بين المنطقتين إضافة إلى التداخل الثقافي والحضاري.

وقد تمثل النفوذ الأمريكي في المنطقة المغربية أيام الحرب الباردة في القواعد العسكرية في كل من المملكة المغربية وليبيا، واستمر هذا النفوذ بعد جلاء القوات الأمريكية عن قواعدها في البلدين عبر مؤسسات الحلف الأطلسي. ورفضت الولايات المتحدة الأمريكية دائما أن تتنازل عن قيادة الحلف في جنوب إيطاليا لدولة أوروبية (بلعيفة، 2017، ص.98).

يرجع اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالمغرب العربي إلى أسباب اقتصادية وأمنية بالأساس، ويتجسد الاهتمام الأمريكي بالمجال الأمني في التقارير التي تصنف منطقة الصحراء الكبرى على أنها بؤرة رئيسة للجماعات الإرهابية في إفريقيا، فيما زاد اهتمامها بالمنطقة نتيجة للعامل الاقتصادي أين ظهرت مؤشرات بوجود مؤشرات البترول في الضفة الجنوبية خاصة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة (قط، 2017، ص.134).

"بناء مركب أممي إقليمي مغربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط"
أحلام علوان و عتيقة كواشي

كما أن سياسات الولايات المتحدة الأمريكية تجاه المنطقة المغربية قائم على التحكم في العلاقات المغربية الجزائرية أساسا، سواء أثناء الحرب الباردة أو بعدها، إذ ترى الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة خزاناً نفطياً (الجزائر- ليبيا) وموقعا استراتيجيا (المغرب)، فضلا عن كونها سوقا للسلاح بامتياز (<https://bit.ly/2wF2Sgj>)

إن تأثر الولايات المتحدة الأمريكية بالقضايا المتوسطية خاصة في جانبها الأمني يبقى ضئيل نتيجة لبعدها الجغرافي على المنطقة، لكن مصالحها الحيوية والاقتصادية يحتم عليها اقحام قواتها في المنطقة (الاستطول السادس في المتوسط).

تسعى معظم القوى الخارجية الكبرى -والتي لها مصالح متعددة في المنطقة المغربية والمتوسطية- لممارسة ضغوط مختلفة رامية في مجملها إلى القضاء على فكرة التكامل في منطقة المغرب العربي، ولا تتورع هذه القوى الكبرى عن املاء شروطها لتقديم أية مساعدة والتي من بينها رفض أي نوع من العمل الوحدوي الذي قد يهدد مصالحهم في المنطقة (بلعيفة، 2017، ص.97).

4. أثر اللاتكامل المغربي على أمن المنطقة المغربية: هل يمكن الحديث عن مركب أممي إقليمي مغربي.

لقد كان لتوقيع اتفاقية انشاء اتحاد المغرب العربي بتاريخ 17 فيفري 1989 أهمية بالغة في تاريخ العلاقات المغربية، إذ ساهم التغيير الذي عرفته بنية النظام الدولي وتداعيات العولمة إلى لجوء دول المنطقة للتكتل لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية (p.5, 1994, messaoudi). وعلى الرغم من أن فكرة التكتل في المنطقة المغربية قديمة ترجع للفترة الاستعمارية إلى أنها تأخرت لسنوات لأسباب متعددة. وقد حمل الإعلان عن انشاء اتحاد المغرب العربي في تلك المرحلة التي تزامنت ونهاية الحرب الباردة أبعادا متعددة، إذ عبرت بداية عن تصالح الأنظمة التي كانت تسير في تيارات مختلفة، كما كانت اعلانا عن بداية التعاون بين دوله.

لكن المشاكل السياسية العالقة بين دول اتحاد المغرب العربي جعلت الكثيرين يحكمون عليه بأنه ولد ميتا، حيث لم يدم التكامل المغربي طويلا بل سرعان ما تفجرت الصراعات البيئية والتوترات داخل الدول المغربية مما أدى إلى شل عمل هذا الاتحاد. ويركز العديد من الباحثين على العلاقات الجزائرية المغربية في تحليل وفهم تركيبة اتحاد المغرب العربي، في حين أن العلاقات بين كل دول منطقة المغرب العربي تعتبر متوترة ولا يقتصر الأمر على العلاقات الجزائرية المغربية، وترجع معظم التوترات في المنطقة المغربية لمشكلة الحدود الموروثة عن الاستعمار.

إن التمسك بالسيادة القطرية إضافة إلى الاختلافات السياسية والايديولوجية تعتبر أسبابا رئيسة في فشل التكامل المغربي ومن ثم فشل فرضية بناء مركب أممي إقليمي مغربي، وهو الأمر الذي أدى إلى زيادة حدة التهديدات الأمنية والاقتصادية في المنطقة في ظل غياب التنسيق بين الدول المعنية. فعلى الرغم من وجود تهديدات خارجية مشتركة تفضل دول المنطقة تغليب المصالح الخاصة على المصلحة الاجتماعية.

على الرغم من أن العامل الخارجي يلعب دور مهم في إعاقة التكامل المغربي ومن ثم بناء مركب أممي إقليمي، إلا أن الدور الأكبر في إعاقة التكامل تلعبه النخب الحاكمة لدول المغرب العربي (بلعيفة، 2017، ص.99)

"بناء مركب أممي إقليمي مغربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط"
أحلام علوان و عتيقة كواشي

5. انعكاسات اللاتكامل المغربي على أمن المتوسط

يشكل اللاتكامل في منطقة المغرب العربي تحديا جوهريا لبناء مركب أممي إقليمي متوسطي، إذ يعتبر الإقليم المغربي مركبا أمنيا فرعيا ضمن مركب الأمن الإقليمي المتوسطي، فلا يمكن تحقيق استقرار أممي في منطقة المتوسط إذا لم يكن هناك استقرار في الضفة الجنوبية بصفة عامة والمنطقة المغربية على وجه الخصوص.

إن نجاح العملية التكاملية في المغرب العربي تعتمد على رغبة وقدرة دول المنطقة المغربية بصفة خاصة في ظل التحولات التي يشهدها النظام الاقتصادي الدولي (messaoudi, 1994, p.57). كما يلعب الاتحاد الأوروبي دورا فعالا في إعادة تفعيل مؤسسات الاتحاد المغربي من أجل النهوض باقتصاديات دول المنطقة مما يؤثر بالإيجاب على أمن المتوسط والدول الأوروبية المطلة على المتوسط على وجه الخصوص.

تفسر العلاقة الوطيدة والطردية بين الأمن والاقتصاد أثر التكامل/ اللاتكامل المغربي على بناء مركب أممي إقليمي متوسطي، حيث يعتبر الاقتصاد عصب التفاعلات الأمنية فالارتياح الاقتصادي يجعل الدول تبحث عن مزيد من التعاون وتوسيعه إلى مجالات أخرى كالتعاون الأمني بين دول الإقليم التي تتطور في مراحل أخرى إلى علاقات فيما بين الأقاليم.

تفسر مقاربة مركب الأمن الإقليمي التي طورها "باري بوزان" أثر اللاتكامل المغربي على بناء مركب أممي إقليمي متوسطي، حيث تعتبر متغيرات الصداقة/ العداوة والتخومية من أهم العوامل المتحكمة في إنتاج ديناميكيات أمنية عابرة للحدود، فالعلاقات المغربية-المغربية قائمة في مجملها على متغير الصداقة العداوة وهي معادلة يصعب تغييرها أو تطوير التعاون وفقها، ونفس الأمر يتعلق بالعلاقات المغربية-الأوروبية، حيث يلعب التاريخ عاملا سلبيا في العلاقات بين الطرفين اللذين يعتبر العداء سمة أساسية لعلاقتهم نتيجة للاستعمار الأوروبي للضفة الجنوبية، حيث يلعب الشك وعدم الثقة دورا مهما في العلاقات العمودية.

وفي مقابل ذلك تعتبر التخومية(القرب الجغرافي) عاملا محفزا على التكامل سواء تعلق الأمر بالعلاقات الأفقية أو حتى في علاقة الشمال بالجنوب، إذ يحتم التقارب الجغرافي على الدول المعنية ضرورة التعاون خاصة في المجالات الاقتصادية والأمنية.

خاتمة

حاولت هذه المقالة البحث في أثر التحديات الداخلية والخارجية في المغرب العربي على بناء نظام أممي إقليمي مغربي وذلك عبر التركيز على العوامل المعيقة للعملية التكاملية والتي تتعدد بين عوامل داخلية وأخرى خارجية، وقد تم التوصل إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- يشكل مركب الأمن الإقليمي من أهم النماذج التي تسعى الدول في مرحلة الحرب الباردة إلى تطبيقها في محاولة لتحسين مستوياتها الاقتصادية والأمنية.
- إن الأهمية الاستراتيجية لمنطقة المغرب العربي وتأثيراتها على منطقة المتوسط جعل دول المنطقة تسعى جاهدة إلى تأمين المنطقة والبحث عن أدوات من أجل جمع شمل المنطقة، من خلال القضاء على

"بناء مركب أممي إقليمي مغاربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط"
أحلام علوان و عتيقة كواشي

الصراعات البيئية ومختلف المعوقات من أجل بناء مركب أممي إقليمي مغاربي يصبح جزء مهم ضمن المركب الأممي الإقليمي المتوسطي.

- تعتبر العوامل الداخلية كضعف الأداء الاقتصادي والمؤسسي وغياب الديمقراطية أهم الأسباب المعيقة للتكامل في المنطقة المغاربية، كما ساهمت الصراعات البيئية في توسيع الهوة بين دول المنطقة.
- رغم التقارب الجغرافي والديني بين شعوب المنطقة المغاربية التي تعتبر أهم العوامل الدافعة نحو التكامل إلا أن الخلفيات التاريخية حالت دون بناء نظام تكاملي ناجح في المنطقة.
- إن بناء مركب أممي إقليمي متوسطي فعال مرهون بنجاح العملية التكاملية في المغرب العربي، فلا يمكن بناء أمن المتوسط دون أمن المنطقة المغاربية التي تعتبر طرف مهم في رسم السياسة الأمنية للمتوسط.

وفي الأخير يمكن القول بأن اللاتكامل في المغرب العربي يحمل آثار سلبية لأمن المتوسط نتيجة لاختلاف الرؤى والأولويات، بالإضافة إلى التهديدات المتبادلة بين دول المنطقة.

قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية

- 1- الحربي، س، ع. (2008). مفهوم الأمن، مستوياته وصيغته وتهديداته دراسة نظرية في المفاهيم والأطر. *المجلة العربية للعلوم السياسية* (19).
- 2- بلعيفة، أ. (جوان، 2017). السياسات الإقليمية وانعكاساتها على مشروع التكامل الاقتصادي المغاربي: دراسة في تأثير الاختلاف السياسي على التكامل الاقتصادي. *مجلة أبحاث قانونية وسياسية* (3).
- 3- بن عنتر، ع، ن. (أفريل، 2005). تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية. *مجلة السياسة الدولية*، 40(160).
- 4- زباني، ص. (مارس، 2010). تحولات العقيدة الأمنية الجزائرية في ظل تنامي تهديدات العولمة. *مجلة المفكر* (5).
- 5- زاوي، ر. (جوان، 2014). التأسيس للنظام الإقليمي المغاربي كمركب أممي: قراءة في مرتكزات مدرسة كوبنهاجن. *المجلة الجزائرية للدراسات السياسية*، 5(1).
- 6- حمشي، م. (يوليو، 2014). أي تأثير للتحولات الإقليمية على المغرب العربي؟ *مجلة السياسة الدولية*، 49(197).
- 7- صبيح، م. (19 جوان، 2015). *المستقبل للأبحاث وللدراسات المتقدمة*. تاريخ الاسترداد 10 مارس، 2020. من <https://bit.ly/2QWW11T>
- 8- قط، س. (جوان، 2017). المغرب العربي في السياسة الخارجية الأمريكية منذ منتصف التسعينات إبعاد فرص وقيود. *مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية* (9).
- 9- التوترات الكامنة: واقع التوازن العسكري في المنطقة المغاربية. (18 أكتوبر، 2015). المركز العربي للبحوث والدراسات. (نسيم بلهول، المحرر) تاريخ الاسترداد 2020 مارس، 22، من <https://bit.ly/2UxBcDf>
- 10- أزمة العلاقات المغربية الجزائرية ومشكلة الصحراء الغربية. (بلا تاريخ). (مصطفى الخلفي، المحرر) تاريخ الاسترداد 2020 جانفي، 15، من الجزيرة: <https://bit.ly/2wF2SgJ>
- 11- التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي. (بلا تاريخ). (احمد الداغر، المحرر) تاريخ الاسترداد 22 جانفي، 2020، من <https://bit.ly/3bB2b6d>

"بناء مركب أمني اقليمي مغاربي في ظل الصراعات الداخلية والتحديات الخارجية وانعكاساته على أمن المتوسط"
أحلام علوان و عتيقة كواشي

ثانيا: باللغة الاجنبية

- 1- Buzan. Barry and Waever, O. (2003). Regions and Power The Structure of International Security.
- 2- Gheciu, A. (2007). Security Institutions As Agents of Socialization ? NATO and the New Europe. In J. T. Checkel, *International Institutions and Socialization in Europe*. New York: Cambridge University press.
- 3- Kahrs, T. (2004, Winter). Regional Security Complex Theory and Chinese Policy towards North Korea. *East Asia*, 18(2).
- 4- Kelly, R. E. (2007, June 2). *International Studies Review*. Retrieved March 9, 2020, from oxford academic:
<https://bit.ly/2QUbvKI>
- 5- Maghur, M. A. (2011, November). Evolution Challenges And Prospects Of The Arab Maghreb Union 1951-2010 The Degree Of Master Of Arts (M.A) In Diplomacy, Institute Of Diplomacy And International Studies . 31. University Of Nairob.
- 6- messaoudi, A. (1994, june). *Arab Maghreb Union : achivement and prospects*. Consulté le March 9, 2020, sur
<https://bit.ly/3avvWVZ>